من واقع الحياة

للروائى الانجليزى : و. سومرست موم

ترجمة : هدى السيد

اعتاد « هنرى جارنيت » أن يذهب الى النادى كل مساء ، قبل أن يعود الى بيته حيث يجتمع برفاقه فيلعب معهم «البريدج» ـ لعبته المفضلة . وكان يمتاز بأخلاق سمحة وطبيعة مرحة يرتاح اليها اللاعبون دائما . ففضلا عن كونه لاعبا ماهرا يحسن استخدام ورق اللعب، كانت لهمواقف مأثورة اذا ما خانه الحظ . أما انكان نصيبه الفوز ، عزا ذلك الى الصدفة والحظ اكثر من المهارة والخبرة . وكانت من سماته ايضا التسامح ، فمثلا ان اخطأ زميل له أثناء اللعب ، حاول أن يجد له عذرا مقبولا ليخرجه من مأزقه . لذلك كان من الغريب حقا ان يرى فى ذلك اليوم حاد المزاج ، يوجه الى زميله أغلظ القول ويرميه بألعن الصفات .

نعم كان من المذهل أن يأتى « هنرى جارنيت» مثل تلك الاخطاء الجسيمة التى يندر أن تصدر من شخص له مثل أخلاقه الطيبة ـ ومع ذلك كان زميله يتقبل تلك الاهانات بابتسامة الرضا والتسامح . ولا غرو فى ذلك فهؤلاء الرفاق كانوا جماعة من الأصدقاء القدامى تجانست شمائلهم وتآلفت قلوبهم ، ولذا لم يهتموا كثيرا بما حدث ولم ينظروا اليه نظرة الجد. وكان «هنرى جارنيت» يعمل سمسارا فى سوق الاوراق المالية كذلك كان يمتلك أسهما فى احدى المؤسسات الكبرى ومن اجل ذلك اعتقد أحد اصدقائه أن هناك أمرا جللا قد وقع فى محيط العمل أو خسارة مالية أصابت أسهمه فبادره قائلا :

ـ كيف حال السوق اليوم ؟

ـ عظيمة للغاية ، ان كل شخص حقق ربحا حتى لو كان طفلا صغيرا..

استولت الدهشة المحيرة على الجميع وايقنوا أن هذا الضيق الذى

يشع من ملامحه وتصرفاته ، لم يكن مصدره المسائل المالية كما توهم احدهم . ولكن لابد ان يكون هناك سبب على اى حال .. وقد اشتهر « هنرى جارنيت » بانه انسان كبير القلب ، يقدس الحياة الزوجية ويكرس حياته لتربيه اطفاله وتنشئتهم التنشئة الصحيحه الفاضلة . يرسل تكاته المرحه دائما تعليقا على مناقشة رفاقه التافهة اثناء اللعب . ولكنه فى ذلك اليوم بدا كمد، يجلس فى صمت وحسرة وقنوط . ولما اراد احد أصدقائه ان يخفف عن نفسه لوعتها فاختار موضوعا للحديث ، يعلم الجميع أن « هنرى » يطربه دائما التحدث فيه والاستماع اليه ، قال :

ـ كيف حال ولدك يا هنرى ، لا شك انه أحرز تفوقا فى الدورة الرياضية تقطب جبين « هنرى جارنيت » وازداد عبوسه تجهما وتمتم :

ـ نعم لقد ابدى كفاءة ملحوظة .. كما تنبأت له دائما .

ـ ومتى عاد من «مونت كارلو» ؟

ـ الليلة الماضية .

ـ ترى هل استمتع برحلته ؟

ـ ربما !! ان كل ما علمته انه كان أحمق فى تصرفاته .

ـ وكيف ذلك ؟

نظر « هنرى جارنيت » الى رفاقه الثلاثة نظرة كلها الم ومرارة وقال :

ـ ارى الا ازعجكم بامر لا يعنيكم فى كثير .

أخذ الجميع يتطلعون اليه بدهشة وقلق وهو يحملق شاردا فى غطاء المائدة الأخضر ..

استمر اللعب وسط ذلك الوجوم، ولاحظ الجميع أن هنرى كان يتخبط وهو يلعب الورق كمبتدىء ساذج ، حتى انتهى « الدور » بخسارة فى جانبه وتلا ذلك «دور» آخر لم يكن بأسعد حظا من سابقه ، وفجأة صاح زميله :

ـ ماذا دهاك يا « هنرى » انك تلعب كالاحمق ..

وفعلا كان هنرى « جارنيت » مبلبل الفكر بادى الارتباك .. فلم يكترث كثيرا بما اصابه من خسارة ، وزاد من المه علمه أن تخبطه هذا لا شك مؤثر على زميله. لذا حاول أن يجمع شتات نفسه وخاطب رفاقه :

ـ من الأفضل أن اكف عن اللعب الآن ... لقد ظننت انه مهدىء اروعى ولكن الواقع غير ذلك فانى غير قادر على تركيز فكرى فى شىء .. ولا اكتمكم أيها الاصدقاء أن راسى يكاد يلتهب ..

هنا انفجر الجميع يضحكون :

ـ على رسلك .. لسنا بحاجة الى مزيد من التفسير فمظهرك يفصح تماما عن ذلك . نظر اليهم « هنرى جارنيت » نظرة يملأها الاسى وقال :

ـ انى اراهنكم لو أن ما حدث لى قد وقع لكم بالفعل لما تغيرت حالكم عن حالى . صدقونى انى فى مأزق جد حرج ، ولا اجد لنفسى منه مخرجا .. هلا تفضلتم ، فاسديتم الى النصح وانرتم لى الطريق فاكون مدينا لكم بالشكر مدى الحياة ..

فاقترح احد الاصدقاء قائلا :

ـ اذن فلنأخذ شيئا من الشراب .. ثم تقص علينا كل شىء عن ذلك الموضوع الذى أطاش بعقلك ، وسوف نجد لك مخرجا لا محالة ، والا فلن تجد من يخلص لك النصح .

ثم نهض هذا الصديق ودق الجرس

للخادم يطلب شرابا . ثم قال هنـرى بصوت حاسم مكتوم :

ـ ان الموضوع يتعلق بولدى.. هذا الشقى اللعين ..

ثم جاء الساقى بالشراب لهم .. وأخذ « هنرى جارنيت » يحكى وقائع قصته من اولها ....

.... كان « لهنرى جارنيت » ولد فى الثامنة عشرة من عمره ، وبنتان احداهما فى السادسة عشرة والاخرى فى الثانية عشرة . وكان يخص ولده هذا بنصيب كبير من حبه ورعايته .

حقا انه كان عطوفا على بنتيه يمنحهما الهدايا الجميلة فى اعياد ميلادهما وفى عيد الميلاد كريسماس ، ولكنه مع ذلك كان شغوفا بابنه «نيقولا» ينظر اليه دائما نظرة فخر واعجاب . وكيف لا و « نيقولا » ابن بار بوالديه وعلى خلق عظيم يفخر ببنوته كل اب ، فارع القامة متناسق الاعضاء له راس جميل يتوجه شعر بنى متموج ، عيناه زرقاوان وأهداب طويلة . أما حاجباه فكثيفان مميزان، وفمه ممتلىء تزينه اسنان بيضاء ناصعة . لم يكن من طبيعته الخجل وان بدا جم التواضع ـ كانت صلاته الاجتماعية يشوبها الأدب واللهو البرىء نشأ فى بيت عريق ، رائداه أبوان متحابان صحيحا البدن . كل ذلك بلا شك اسهم فى تكوينه المثالى خلقيا وخلقيا تراه وقد انعكست جميل شمائله على محياه فبدا رائعا جذابا . لم يحدث قط أن مرض أو اغضب والديه عندما كان طفلا صغيرا . فلما شب وصار صبيا يافعا كان طالبا ممتازا فى مدرسته يقوم بأداء واجباته على الوجه الاكمل كما دلت على ذلك تقارير المدرسة الدورية ـ وفوق ذلك كان يتمتع بحب الجميع وتقديرهم ، كما حصل على العديد من الجوائز بصفته لاعب فريق كرة القدم فى مدرسته ، وفى سن الرابعة عشرة تطورت ميوله فظهر موهبة فذة فى لعبة « التنس » التى كان يعشقها والده أيضا ويلعبها بمهارة فائقة ، ولذلك عندما اكتشف « هنرى » ذلك الميل لدى ولده شجعه على ممارستها والتدرب عليها على الوجه الصحيح . فكان ينتهز فرصة الاجازة الصيفية ويعهد به الى أحد المدربين المتخصصين فى هذه اللعبة ليلقنه اسسها الصحيحة . وما ان بلغ السادسة عشرة حتى اظهر تفوقا ملحوظا واحرز أعظم فوز يمكن ان يحرزه من هو فى مثل سنه ـ واكثر من ذلك فانه اصبح يهزم والده بشجاعة رياضية ـ اذا ما لعب ضده ـ وبطبيعة الحال لم يؤثر ذلك فى نفس الوالد ، فقد كان حبه الأبوى يطغى على سواه من المشاعر . وفى الثامنة عشرة التحق بجامعة « كامبريدج » لاتمام دراسته ومن ذلك الوقت و«هنرى جارنيت» الأب يداعبه أمل كبير فى أن يمثل ابنه الجامعة فى مباريات التنس الدولية وفى الواقع فان نيقولا كان يمتاز بصفات ترشحه لأن يكون بطلا ذات يوم . ففضلا عن كونه فارع القامة مما يمكنه من ادراك الكرة فى ارتفاعها ، كان كذلك سريع العدو ذكيا بعيد النظر يدرك تلقائيا مكان اتجاه الكرة فيسرع اليها دون جهد او عناء . قوى الساعد ماهرا فى رد الكرة قبل أن تلامس أرض الملعب .. كل ذلك جعل « هنرى جارنيت » يزداد ثقة وايمانا يوما بعد يوم بمستقبل ابنه الباهر فى هذه

اللعبة . وكثيرا ما كان يداعبه الأمل .. من يدرى فربما وقع عليه الاختيار ليمثل بلده ـ ديمبلدون ـ ليحرز كأس « دافيد » ..

لقد شاعت فى حناياه خلجة منعشة رأى خلالها ولده وهو يقفز فوق شبكة الملعب مرفوع الراس مزهوا ليصافح البطل الامريكى ـ بعد أن اوقع به هزيمة منكرة .. ثم يخرج من الملعب وسط هتاف الجماهير المدوى وتشجيعهم له ...

وكان « هنرى جارنيت » نخبة طيبة من الاصدقاء فى وطنه ويمبلدون جمعتهم به هواية التنس .. وذات مساء ـ وبينما هو يتناول طعام العشاء فى مطعم بالمدينة لمح بالقرب منه « الكولونيل برابازون » احد هؤلاء الاصدقاء . أخذ هنرى يحدثه كعادته عن ولده نيقولا ويعرب له عن أمانيه الكبار فى أن يواتيه الحظ فيقع عليه الاختيار ذات يوم ليمثل جامعته « كامبريدج » فى « لعبة التنس » خلال الفصل الدراسى التالى .

ـ ..وهنا قال الكولونيل مستفسرا

ـ لم لا تدعه يذهب الى « مونت كارلو » ليشترك فى دورة الربيع الرياضية هناك ؟

أجاب هنرى على الفور :

ـ اعتقد يا عزيزى أن «نيقولا» لم تتهيأ له بعد الخبرة الكافية .. اضف الى هذا أنه لم يبلغ التاسعة عشرة بعد ... حقا لقد لعب فى «كامبريدج» فى شهر اكتوبر الماضى وحالفه الحظ وتفوق على الفريق المضاد ولكن مع ذلك أرى انه لا يزال ينقصه الكثير .

تابع الكولونيل حديثه :

ـ لا شك أن امثال « اوستن » و « فون جرام » من أبطال التنس سوف يصيبون أهدافا ضده فى هذه المباراة ولكنه مع ذلك قد يحرز هو الآخر هدفا أو آخر .. ومن يدرى فقد يتفوق فيصيب أهدافا كثيرة ولا تنس ياعزيزى انه لم يلعب قط ضد أى فريق من الصف الأول ولا شك ان اشتراكه فى هذه الدورة سوف يكسبه خبرة تفوق بكثير ما اكتسبه من المباريات التى اشترك فيها من قبل .

قال هنرى جارنيت متحمسا :

ـ فى الواقع يا عزيزى اننى لم افكر فى هذا الموضوع من قبل .. ولا يمكن بحال أن اشجعه على لتخلف عن الجامعة خلال الفصل الدراسى ، ذلك أننى دائما افهمه بأن هواية التنس مجرد رياضة ويجب ألا تتدخل فى عمل الفرد الاساسى فتعوقه عنه.

وعندئذ سأل الكولونيل صديقه هنرى جارنيت عن موعد انتهاء الفصل الدراسى ، ولما أجابه استطرد فى تصميم :

ـ حسنا ، علينا اذن أن نعمل الترتيبات اللازمة .. وعلى كل فلن يتغيب ولدك اكثر من أيام ثلاثة .

ثم اطرق برهة تابع بعدها حديثه :

ـ لعلك تعلم يا صديقى جيدا أن اللاعبين اللذين اعتمدنا عليهما ليحرزا بطولات لصالح فريقنا قد خيبا املنا جميعا فأصابتهما الهزيمة الساحقة وأصبح فريقنا هزيلا وفى حالة يرثى لها .. ولذا ارى انه من الحكمة أن نرشح فريقا على قدر من الكفاءة والخبرة ليمثلنا ويأخذ بيدنا من تلك العثرة . ولقد علمت أن المانيا سترسل فريقا من أكفأ لاعبيها وكذا أمريكا .

اجاب هنرى على الفور :

ـ هذا قول معقول لا شك فى ذلك،

ولكن كما سبق أن اشرت لك فان نيقولا لم يبلغ بعد من المهرة ما يؤهله لذلك .. وشيء اخر .. كيف لى أن أرسل شابا فى مثل سنه الى مدينة «مونت كارلو» بمفرده دون رفيق يتعهده ويرعى شئونه .. ليتنى أستطيع ان اذهب بنفسى .. ولكن هيهات انه امر بعيد الحدوث.

وهنا ادرك الكولونيل بحماس :

ـ سوف اكون هناك فى نفس الوقت كقائد الفريق الانجليزى، وبهذا ستتاح لى الفرصة أن الاحظ ولدك واراقب تصرفاته عن كثب .

ـ ولكن قد لا يسمح لك الوقت بذلك . كذلك وأنا لا أرغب أن أعهد اليك بمثل تلك المسئولية فزعج مقامك وأهم من ذلك كله ، لا تنس انه لم يسافر الى الخارج من قبل ، ولا اخفى عليك انه لو فرض وذهب بالفعل فلن يهدأ عيشى هنا حتى يعود .

وبانتهاء هذه المناقشة عاد هنرى جارنيت الى بيته. ان اقتراح الكولونيل «برابازون» جعله مشتت الفكر ، وفى نفس الوقت ملأه زهوا وسرورا حتى انه لم يستطع حبسه عن زوجته فبادرها قائلا :

ـ تصورى كيف يرى الكولونيل ولدنا نيقولا لاعبا ممتازا يبشر بمستقبل عظيم .

لقد اخبرنى انه رآه يلعب التنس بمهارة ودقة ولا ينقصه سوى المزيد من التدريبات ليكون من لاعبى الصف الاول .

ودهش عندما لم تبد زوجته اى اعتراض على فكرة الكولونيل ، ـ كما توقع ذلك . ودارت بينهما هذه المناقشة :

قالت الزوجة :

ـ انى مطمئنة تماما على ولدنا ، فقد بلغ الثامنة عشره ولم يرتكب خطأ يذكر لذا يجب الا نعترض حدوث ذلك

ـ ولكن لا تنسى يا عزيزتى ان عمله الدراسى يجب ان يكون له الاعتبار الأول ، ولا شك انه ان لم ينتظم فى معهده حتى نهاية الفصل الدراسى فسوف تحتسب له بادرة سيئة . هذا فضلا عن انه قد يعتاد تكرارها.

ـ ولكنك قلت انها ثلاثة أيام فقط، واظن ان ذلك ليس بالشىء الكثير .. وتابعت حديثها فى توسل :

ألست ترى يا عزيزى انه ليس من العدل ان نفوت عليه هذه الفرصة الذهبية التى سيكون لها اكبر الاثر فى نفسه بل فى مستقبله الرياضى !!

أجابها بحماس واصرار :

ـ لا .. انى عند رايى .. اننى لم الحقه بجامعة «كامبريدج» ليلعب التنس .. لا شك انى اثق تماما فى اخلاقه وتصرفاته ولكن كيف نلقى به فى احضان المغريات ثم نطالبه بالاستقامة بعد ذلك .. انه لم يبلغ من النضج بعد ما يخول له الذهاب الى « مونت كارلو » دون رفيق يتعهد أمره .

ـ ولكنك قلت انها فرصة ذهبية ليلعب ضد هؤلاء اللاعبين المهرة .

صمت «هنرى جارنيت» وتشاءب بهدوء ثم أخذ يستعرض فى مخيلته ما سبق ان فكر فيه من برهة وهو فى طريقه الى البيت ... يبدو أن «أوستن» ذلك اللاعب المشهور ـ لا يتمتع بصحة جيدة ، أما « فون جرام » فربما تخلف عن الذهاب .. وقد يصادف الحظ نيقولا فيفوز ، وعندئذ يقع عليه الاختيار ليمثل جامعة «كامبريدج» ..

ولكن لاشك ان هذا محض وهم وخيال وبعد برهة قصيرة افاق من حلمه واجابها فى تصميم :

ـ لن يذهب ولدنا مهما حدث .. هذا هو رايى الاخير ولن أحيد عنه..

آثرت «مسز جارنيت» الصمت حتى لا يتمادى فى ثورته ، ولكنها فى اليوم التالى بعثت برسالة الى ابنها «نيقولا» تخبره فيها بكل ما حدث ، ونصحته ان يحاول جهده اقناع والده ليظفر بموافقته ان اراد أن يتم له الامر وبعد يومين فوجىء « هنرى جارنيت» بخطاب ثائر من ولده ، كانت كلماته تتراقص طربا وسرورا وقد اخبره أنه قد قابل مدربه الخاص الذى كان يشغل منصب عميد كليته وكان أحد أصدقاء « الكولونيل برابازون » واستشاره فى الأمر فلم يبد اعتراضا بالنسبة لتخلفه هذه الأيام القلائل ـ واتفق مع الكولونيل فى الرأى بأن هذه فرصة يجب ألا تفلت منه ... وفى فقرة أخرى من الخطاب وعد نيقولا أباه بمضاعفة جهده فى الفصل الدراسى الثانى ، ان هو وافق راضيا على سفره.

ظلت «مسز جارنيت» تراقب زوجها خلسة وهو يتلو الرسالة ، ولم يزعجها قط ان تراه عابسا مقطب الجبين. وما انتهى من تلاوتها حتى ألقى بها أمامها وقال ثائرا .

لست أدرى ما الذى حدا بك ان تفضى الى ولدنا بحديث ائتمنتك على سماعه ـ ان ذلك لا يليق بك اطلاقا .. انك بهذا كنت السبب فى قلقه وعدم استقرار نفسه الذى يبدو واضحا خلال كلماته الثائرة .

أجابت زوجه على الفور بهدوء واتزان :

ـ عفوا ياعزيزى ، انى ماقصدت الا خيره ، لقد اردت أن اعلمه برأى «كولونيل برابازون» عنه فيسر ويكون ذلك حافزا له على دوام التقدم والنجاح .. ثم استطردت :

أليس عجيبا حقا أن نطلع الناس على آراء الغير البغيضة حيالهم ولا نطلعهم على الحسن منها !! وعلى كل فاننى صارحته القول بان مسألة ذهابه مسألة بعيدة المنال .

استمر هنرى جارنيت فى ثورته :

ـ ولكنك بتصرفك هذا قد أوجدتنى فى أحرج المواقف ، ذلك أننى أمقت أن أبدو أمامه أبا ظالما لا يشجع هوايته .

قالت مسز جارنيت تلاطفه :

ـ لا يا عزيزى ، لن يحدث شىء من هذا ، كل ما فى الأمر أنه قد يراك فى غضبته عنيدا ، ولكننى واثقة أنه فيما بعد سوف يدرك أن حرصك على مستقبله كان الدافع على اصرارك .

لاذ « هنرى جارنيت » بالصمت ثم همس فى ضجر :

ـ رباه ...

وعندئذ أحست زوجته بميل الى الضحك ، فقد أوحت اليها غريزة حواء أنها قد كسبت المعركة أخيرا . وهجست فى نفسها .. : كم هو يسير أن نستميل الرجال فنجعلهم يخضعون لرغباتنا دون جهد أو عناء ...

وهكذا ظل « هنرى جارنيت متشبثا برأيه ، فى ظاهر الأمر ، زهاء ثمان وأربعين ساعة بعدها رفع راية التسليم . وبعد أسبوعين عاد نيقولا الى لندن ليستعد للرحيل الى « مونت كارلو» فى الصباح التالى . وبعد تناول العشاء صحبت « مسز جارنيت » شقيقتها الكبرى بعيدا عن زوجها

وولدهما · فانتهز الوالد هذه الفرصة لينفرد بابنه ويلقى عليه بعض النصائح الأبوية الثمينة قال :

ـ أصارحك ياولدى بأنى قلق لرحيلك الى « مونت كارلو » بمفردك ولما تنضج سنك بعد · ولكنها ارادة الله وليس لى الا أن أمنى النفس بأنك ستكون ـ كعهدى بك دائما ـ كريم الأخلاق محمود السلوك · غير أن هناك أمورا ثلاثة أوصيك أن تبتعد عنها : وأولها المقامرة ·· فاياك والمقامرة · وثانيها اقراض مالك للغير ·· أما الثالثة فهى النساء ·· فاحذرهن دائما ما استطعت الى ذلك سبيلا ·

وتابع الوالد حديثه مؤكدا :

ـ ان نصيحتى هذه ـ لو علمت ـ ثمينة غالية ، فان وعيتها تماما وعملت بها فلن يصيبك أبدا مكروه ·

صمت الوالد برهة ، ونظر الى ابنه نظرة حب وأمل ، ابتسم على أثرها نيقولا وقال :

ـ حسنا يا أبت ، سأكون عند حسن ظنك بى ·

خرج « هنرى جارنيت » من صمته واختتم حديثه قائلا :

ـ هذه كلمتى الأخيرة اليك ·· هلا وعدتنى أن تتشبث بوصيتى فتذكرها دائما ؟

أجاب نيقولا على الفور :

ـ أعدك ألا أنساها ·

عندئذ همس الوالد بصوت تخنقه العبرات :

ـ انك لفتى كريم الأخلاق ·

وفى « مونت كارلو » ، اشترك نيقولا فى دورة التنس ولم يتغلب على أى من « أوستن » أو « فون جرام » ـ البطلين الماهرين ـ ولكنه مع ذلك لم يتخاذل ، بل أحرز انتصارا مفاجئا ضد لاعب أسبانى ، كذلك أبدى تفوقا ضد لاعب من استراليا فجذب أنظار الحاضرين اليه ، وامتلأت نفسه زهوا وسرورا ، كما أثنى عليه « الكولونيل برابازون » وشجعه باخلاص وأفهمه أنه فى المستقبل القريب سوف يزداد خبرة وكفاءة بالاشتراك مع لاعبى الصف الأول ، وسيكون الفضل فى ذلك لوالده الذى أتاح له هذه الفرصة الذهبية ·

غمرت الفرحة نفس « نيقولا » عندما فكر فى أن يوم العودة الى الديار قد دنا · وعملا بنصيحة والده ، أمضى تلك الأيام الثلاثة على خير مايكون من الاستقامة والخلق الحميد ، فلم يدخن الا قليلا ، أما الخمر فلم يقربها ، كما اعتاد أن ينام مبكرا · ولكن فى الليلة الأخيرة شعر برغبة ملحة فى أن يعرف شيئا عن الحياة فى « مونت كارلو » تلك المدينة الصاخبة التى طالما سمع عنها الشىء الكثير · وفى هذه الليلة بالذات دعى جميع اللاعبين ـ الذين اشتركوا فى الدورة الرياضية ـ الى مأدبة عشاء رسمية أقيمت لهم ـ وبعد تناول العشاء ذهب نيقولا مع زملائه الى نادى سبورتنج للمرة الأولى ·· وياالعجب ما رأى !! حجرات عديدة غاصة بالناس ·· دخل احداها مترددا ووجد نفسه يقف أمام احدى موائد « الروليت » ـ هواية الميسر المعروفة ـ والتى لم يرها قط الا فى بعض الصور ··· مائدة خضراء فى الوسط ـ رصت عليها أكوام من « الفيش » · يقف أمامها المشرف على اللعبة الذى أخذ يدفع العجلة دفعة قوية ، ثم يقذف بكرة بيضاء صغيرة فى الداخل ، وبعد برهة قصيرة توقفت الكرة وقام شخص آخر

بجمع « الفيش » من الخاسرين وفرده على المائدة دون أدنى اكتراث ·· وقف « نيقولا » مشتت الفكر مذهولا ، وفجأة لمح فى الغرفة المجاورة جمعا آخر من الناس فدلف اليها مستطلعا علم من بعض الحاضرين أنها لعبة ميسر أخرى تسمى « الباكاراه » وكانت قائمة آنذاك فى أوج نشاطها ـ رأى حشدا كبيرا من المتفرجين يقف خلف قضبان من الناس يحمى المقامرين من صخب القوم وضجيجهم ـ أما اللاعبون فكانوا يجلسون حول المائدة فى نظام ، تسع فى كل جانب بينما وقف فى الوسط المشرف على اللعبة فى مواجهة المقامر ـ

وقد عرف نيقولا أن المقامر كان عضوا فى الاتحاد اليونانى لأصحاب رؤوس الأموال · لقد أدهشه منظر ذلك المقامر وقد بدا ساكنا هادىء النفس فى جميع الأحوال سواء ربح أم خسر ··· حقا انه لمشهد عجيب حقا لاسيما بالنسبة لشاب « كنيقولا » نشأ فى بيئة صالحة بعيدة كل البعد عن هذا الجو الصاخب المثير ـ وكيف لا تصعقه الدهشة وقد رأى شخصا يخاطر بآلاف الجنيهات فى المقامرة ثم يقابل الخسارة بدعابة مرحة · وانه لفى غمرة ذهوله اذا بصديق له يبادره القول :

ـ ترى هل حالفك الحظ ؟

ـ اننى لم أقرب اللعب ٠

ـ لقد أنصفت يا صديقى انها لعبة لعينة ٠٠ تعال معى نأخذ بعض الشراب ـ حسنا ٠

وبينما جلس الصديقان يشربان أخبر نيقولا صديقه بأنه لم يدخل تلك الحجرات الا فى تلك الليلة ولمجرد اشباع فضوله ٠

قال الصديق معقبا :

ـ ولكن يجب ياعزيزى أن تجرب حظك ولو مرة واحدة قبل أن تغادر « مونت كارلو » وأعتقد أنه لن يضيرك أن تخسر مبلغا زهيدا كمائة فرنك مثلا ٠

أجاب نيقولا بعد تفكير :

ـ حقا ماتقول ، ولكن يمنعنى من ذلك أمور ثلاثة حذرنى منها والدى قبل الرحيل ونهانى عنها ، وكانت المقامرة احداها ٠

وانتهى الحديث وانصرف الصديق ، أما « نيقولا » فعاد من جديد حيث مائدة « الروليت » ٠ وأخذ يرقب اللاعبين هذه المرة بحماس كبير يفوق المرة الأولى ٠ يا له من مشهد مثير للغاية ٠٠ فريق يخسر أمواله ثم يلقى بها فى نفس الوقت الى أيدى الرابحين ٠٠ وأخذ يهجس فى نفسه :

٠٠٠ حقا لقد أصاب صديقه عندما قال انه من الحمق أن يغادر « مونت كارلو » دون أن يجرب حظه فى اللعب ولو مرة واحدة ٠٠ ولكن مع ذلك لم تنبعث فيه رغبة من هذا القبيل بادىء الأمر ٠ وما لبث أن تزاحمت الخواطر فى رأسه ٠٠

انها لن تكون سوى تجربة ٠٠ أليس من حق كل شاب فى مثل سنه أن يخوض جميع التجارب ليفرق بين الطيب والخبيث ٠٠٠ انه لم يعد والده بعدم المقامرة ٠٠ كلا ٠٠ ولكنه وعده ألا ينسى وصاياه ٠٠ وشتان بين الوعدين ٠٠ أليس كذلك ؟ وهكذا حاول أن يقنع نفسه بصحة تفكيره ثم أخرج من جيبه رزمة مالية من فئة المائة فرنك وبخجل المبتدىء وتهيبه وضعها على العلامة التى تشير الى رقم ١٨ ـ وقد اختار هذا الرقم بالذات لأنه عدد سنوات عمره ٠ وبقلب واجف ونظر زائغ أخذ يرقب العجلة فى دورانها ـ أما الكرة البيضاء فكانت ثائرة كالشيطان الصغير ينبعث منها أزيز مدو ٠٠ وسرعان ماخف دوران العجلة وهدأت معها حركة الكرة حتى أوشكت على التوقف ، ولكنها عادت من جديد واستمرت فى دورانها ٠٠ لم يصدق « نيقولا » عينيه عندما رآها تقف تماما على رقم ١٨ ٠٠ وبيد مرتجفة تناول قطع « الفيش » التى ألقيت اليه ٠٠ استولت عليه الدهشة ولم يفكر قط أن يعاود اللعب ٠٠ بل وقف يشخص فى ذهول الى العجلة فرآها تدور من جديد ثم تتوقف وتشير الكرة الى نفس الرقم السابق ٠٠ رقم ١٨ ٠

وأفاق نيقولا من ذهوله على صوت رجل كان يقف بجواره ، سمعه يصيح :

ـ حظ سعيد ٠٠ لقد ربحت مرة ثانية ٠

أجاب نيقولا فى دهشة :

ـ أتعنينى أنا ؟

ـ نعم ٠ ان « الفيش » الذى كان

على رقم ١٨ يخصك . وكما تعلم ان هذا يعنى انك لاتزال فى مركز اللاعب حتى تعيده اليك .

وهكذا ربح نيقولا مرة أخرى وألقى اليه من جديد بمجموعة من الفيش .. شعر بدوار وهو يعد أرباحه فيجدها فى مجموعها سبعة آلاف فرنك .. لقد ملأه الغرور آنذاك واستولى عليه شعور عجيب بالقوة الخارقة .. يا لها من طريقة يسيرة لكسب المال !!

لقد بدا وجهه البرىء متهللا ينضح بالبشر ، وقد انعكست على صفحته ابتسامة عريضة ـ نظر أمامه فالتقت عيناه بعينى امرأة كانت تقف بالقرب منه ـ قالت له بالانجليزية التى تشوبها لكنة أجنبية :

ـ ان الحظ يحالفك ..

أجابها شاردا :

ـ انى أكاد لا أصدق ماحدث ، فهذه هى المرة الأولى التى أقامر فيها .

قالت على الفور :

ـ انى أصدقك فان تصرفاتك تؤكد ذلك .. والآن هلا أقرضتنى ألف فرنك ، لقد فقدت كل ما أملك فى المقامرة ... وسوف أردها اليك خلال نصف الساعة القادمة .

أجابها نيقولا الى طلبها ، فشكرته وانصرفت .

وفى هذه اللحظة سمع نيقولا الرجل الذى كان يحدثه من قبل يوجه اليه القول :

ـ انك لن ترى هذا المبلغ أبدا .. لقد ذهب مع الرياح الأربع ..

صعقته هذه العبارة المقتضبة فلم ينبس ببنت شفه ... وتزاحمت فى ذهنه الخواطر .. ألم ينصحه والده بألا يقرض مالا لأحد .. بالها من حماقة تلك التى ارتكبها بطيشه وزعونته .. لقد علبته السمعه والرحمه فاقرض ماله لشخص غريب لم يره من قبل .. وعلى كل لاداعى للأسى ، فانه لايزال يحتفظ بستة الاف فرنك . ثم وسوس له الشيطان .. لما لا تعاود اللعب .. فان خانك الحظ فلتسرع بالعوده الى مسكنك .. هيا تشجع وكن رجلا ... تملكته الرغبة الملحه فى ان يقامر من جديد ـ حاول أن يقاومها ولكنه لم ينجح .. وانتهى به الأمر بان وضع « الفيش » على رقم ١٦ الذى يتفق وعمر شقيقته الكبرى ، لكن كان نصيبه الفشل . لم يتسرب اليأس الى نفسه وأصر على محاولة جديدة .. فوضع « الفيش » على رقم ١٢ وهو عمر شقيقته الصغرى ولكن الحظ أصر هو الآخر على التنكر له . غمره شعور عميق بالفشل جعله يتردد لحظة قرر بعدها معاودة المقامرة .. وفعلا لعب وربح . لقد عوض خسارته ، وفوق ذلك كسب مبلغا كبيرا .. تم كل ذلك فى أقل من نصف ساعة كانت حافلة بشتى الانفعالات والمفاجآت المثيرة التى لم يعرفها من قبل .

لقد وجد نفسه أمام أكوام عديدة من « الفيش » التى ضاقت جيوبه عن حملها .. وقبل أن يعود الى فندقه توجه الى مكتب الصراف ليحول « الفيش » الى نقود . وفى لحظة تسلم أوراقا نقدية قيمتها عشرون الفا من الجنيهات ، دسها بلهفة فى جيبه وهو شارد الفكر . هم بالانصراف واذا به يلمح المرأة التى أقرضها الألف فرنك تقبل نحوه مسرعة .. قالت :

ـ لقد بحثت عنك فى كل مكان كالمجنونة ، ذلك أننى خفت أن تكون قد

ذهبت وانت تحمل أسوأ الذكرى عنى ..

ثم مدت اليه يدها ببعض النقود قائلة :

ـ اليك العشرة آلاف فرنك قيمة الدين أردها اليك شاكرة .

تخضب وجه نيقولا بحمرة الخجل وأخذ يشخص اليها بدهشة وأسف ، واستغرق لحظة فى تأملات متباينة ... كم كنت ظالما فى حكمى على هذه السيدة .. لقد حذرني والدى من المقامرة وها أنذا قد فعلت وربحت عشرين ألف فرنك ، كذلك أوصانى بألا أقرض مالا لأحد وخالفته مرة أخرى وأقرضت امرأة غريبة مبلغا من المال وها هى ترده الى كاملا .. لقد برهنت على أننى لست غبيا أحمق كما اعتقد والدى ... ان ماشجعنى على اقراضها هذا المال شعور نبع من أعماقى ألح على أن أفعل .. يا له من شعور صادق .

بدا نيقولا وقد انعكست على وجهه صورة تلك الانفعالات الثائرة مما دعا تلك السيدة أن تغرق فى الضحك وتساله مستفسرة :

ـ ماذا دهاك ؟ أجابها بسذاجة :

ـ أصارحك دون مواربه . ! لقد خامرنى الشك أنك لن تعيدى الى هذا المال .

أجابته على الفور وهى تفتعل الغضب :

ربّاه .. كيف ذهبت بك الظنون الى هذا الحد : أهكذا أبدو خائنة ! ؟

أجاب نيقولا بخجل وأسف :

ـ عفوا .. عفوا ، اننى ما ظننت شيئا من هذا .

كانت تبدو أنيقة فى فستانها الأسود وقد تحلت بعقد ذهبى اللون ، زادها فتنة وجمالا ـ أوحى وجهها الصغير بأنها لا تكبره الا بثلاثة أو اربعة أعوام على الأكثر . وبعد بعض قصير نظرت اليه السيدة بود وتابعت الحديث :

ـ ان زوجى يعمل فى حكومة مراكش ، وقد اذن لى بالمجىء الى مونت كارلو لبضعة أسابيع طبا للراحة والاستجمام .

وقال نيقولا بعد جهد كبير : أما أنا فانى على وشك العودة الى ديارى .

فقالت متسائلة : أبهذه السرعة ؟

ـ نعم فى الصباح الباكر ، سوف أعود الى لندن بالطائرة .

ـ لقد انتهت الدورة الرياضية اليوم ، أليس كذلك ؟ . أظنك لا تعلم اننى كنت أتابعك وأنت تلعب ، وأعجبت كثيرا بك .

فقال نيقولا وقد ملأه الغرور :

ـ أحقا ماتقولين . ؟؟ ولكن ما الذى استرعى نظرك فى ؟

ـ مهارتك فى اللعب ورشاقة مظهرك وأنت ترتدى الشورت .

كان نيقولا شابا ذكيا ، ولذا خامره الشك بادىء الأمر فى أمر هذه الحسناء وراودته الوساوس : ترى هل اقترضت منه هذه الحسناء ذلك المبلغ بقصد التعرف عليه ؟

مرت لحظة سألته بعدها :

ـ هل ذهبت الى نادى «نيكر بروكر» الليلى من قبل ؟

ـ كلا لا أعرف عنه شيئا .

ـ انه مكان جميل ويجب ألا تغادر مونت كارلو دون أن تقضى فيه بعض الوقت ..

أتود أن ترافقنى الى هناك لنرقص قليلا ونتناول بعضا من لحم الخنزير والبيض فانى أصارحك ـ أشعر بجوع شديد .

وفى هذه اللحظة أيضا تذكر «نيقولا»

نصيحة أبيه الأخيرة .. نعم ألم يحذره من النساء ؟

ولكن الأمر يختلف . ان هذه الحسناء تبدو لأول وهلة انها سيدة فاضلة ثم ان زوجها كما أخبرته يعمل كمراسل مدنى فى مراكش . وتذكر أن لوالديه أصدقاء عديدين يشغلون هذا المنصب وكثيرا ما رأى زوجاتهم يتناولن العشاء مع أسرته فى البيت . حقـا ان تلك الزوجات لم يكن على هـذا القدر من الجمال أو الشباب ولكنها على أى حال سيدة محترمة مثلهن ..

وسوس له الشيطان مرغبا :

ـ لقد ربحت عشرين ألف فرنك دون جهد أو عناء ، ومن حقك أن تلهو قليلا بمبلغ منها .

ولما استجاب «نيقولا» له وأقنع نفسه بصحة ما أملاه عليه . قال لها مرحبا :

ـ يسعدنى يا سيدتى أن أرافقك الى هذا المكان .. ولكننى لن أمكث فيه طويلا لأننى تركت تعليمات فى ادارة الفندق الذى أقيم فيه تقضى بايقاظى فى الساعة السابعة من صباح الغد .

وأجابت راضية :

ـ لك أن تعود وقتما تشاء يا عزيزى

وهناك فى نادى « نيكر بروكر » استمتع نيقولا بوقت جميل . كان يلتهم البيض ولحم الخنزير التهاما ، ثم احتسى معها زجاجة من الشراب . ولما لعبت الخمر برأسه راقصها بنشوة وسرور على أنغام الموسيقى وشدو الغانية الدافىء العذب . تسابق الراقصون ورفيقاتهم الى حلبة الرقص وأخذ الجميع يتمايلون فى مرح على دقات الطبول . اقتربت السيدة من « نيقولا » وهى تراقصه فتلامست وجنتاهما وتلاقت نظراتهما ولمح فى عينيها بريقا غامضا جعله يترنح فى خطاه وسمعها تهمس فى أذنه :

ـ ألم يخبرك أحد من قبل أنك شاب وسيم ؟

ابتسم « نيقولا » بزهو وقد شاعت فى نفسه خلجة من الغرور قال :

ـ لا .. لا أظن ذلك .

ثم أطرق وقد أيقن أنها لا بد وقد شغفت به . وأخذ يضمها اليه برفق حان فاستسلمت بين ذراعيه وأغمضت عينيها فى دلال ، وأرسلت من بين شفتيها تنهيدة خافتة فهم نيقولا معناها فقال :

ـ أرى انه ليس من اللائق يا عزيزتى أن أقبلك أمام هذا الجمع من الناس .

ثم أبدى رغبة فى الانصراف خشى أن يتقدم به الوقت أكثر من ذلك ، فقالت على الفور :

ـ يجب أن أذهب أيضا .. هلا تفضلت فأوصلتنى الى فندقى فأكون لك شاكرة ؟

دفع نيقولا الحساب وقد أدهشه ضخامة المبلغ ولكنه لم يكترث كثيرا بالأمر بعد أن تذكر المال الوفير الذى فى جيبه .

استقلا بعد ذلك سيارة أجره ، وما لبثت ان اقتربت منه فى اغراء ، فقبلها فى غيبة من نفسه ولما أفاق وجد نفسه يتمتم فى ذهول :

ـ رباه .. ماذا دهانى !!

وتزاحمت الخواطر فى رأسه : انها سيدة متزوجة ،وزوجها يعمل فى مراكش ولكن يبدو واضحا أنها قد أغرمت به ، ومرة أخرى تذكر وصية أبيه .. لقد حذره من النساء ووعده حينذاك أن يكون عند رأيه فلا ينسى وصيته .. وها هو قائم على وعده .. نعم ألا يذكر وصاياه

دائما !! ، انها لا تزال عالقة بذهنه يذكرها فى كل وقت وآن ولكنها الأحداث التى تغير مجرى الامور .. ثم انها شابة جميلة .. ومن الحمق حقا أن يدع مغامرة ممتعة كهذه تفلت منه بعد أن سعت اليه مختارة . وبعد وقت قصير توقفت السيارة أمام الفندق الذى تقيم فيه رفيقته ، فصرف السائق بعد أن نقده الاجرة ثم التفت اليها محييا وقال

ـ خير لى أن أسير الى فندقى لأستنشق نسيم الليل النقى بعد أن امتلأت رئتاى بفاسد الهواء الذى انتشر فى ذلك المكان الصاخب .

نظرت اليه بود وقالت ترجوه :

ـ هلا صعدت معى الى غرفتى فأريك صورة طفلى الصغير .

صاح متعجبا :

ـ أحقا ما تقولين ؟ هل لك طفل صغير ؟ .

ـ نعم انه طفل جميل جذاب .

ثم صعدت الى غرفتها وتبعها الشاب . وفى الواقع لم يكن يعنيه البتة أن يرى صورة صغيرها كما ادعى ذلك ، انما كان محض وهم خدع به نفسه ليستتر خلفه فيخفى حقيقة رغباته . ثم ساورته الشكوك .. ترى ماذا تقصد من وراء طلبها هذا ؟ هل فضحته تصرفاته الصبيانية معها فى النادى فبدا أمامها حديث السن ولذا دعته الى غرفتها لمجرد أن تريه صورة طفلها . فتؤكد له حقيقة رأيها فيه . ولها الحق فيما ظنت ألم يخبرها أنه فى الثامنة عشرة من عمره ؟

ثم شعر بوخز الندم على ما نفقه فى ذلك النادى ثمنا للشراب . وبعد أن صارا معا فى غرفتها انتظر أن تأتيه بصورة صغيرها ولكنها لم تفعل بل أسرعت اليه تعانقه وطبعت على شفتيه قبله حانيه أودعتها كل معانى الحب ، وفى تلك اللحظة لمحت فى خاطره ولبرهة قصيرة ، وصية أبيه تذكره بسابق وعده .. ولكنه فى غمرة تلك النشوة نسى كل شىء .

وكان من طبيعة نيقولا أن يستيقظ من نومه لأقل صوت ، ولذا تنبه فجأة من نومه فى جوف الليل على صوت خفيض . حاول أن يتذكر أين كان ولكنه لم يستطع بادىء ذى بدء . لم تكن الغرفة مظلمة تماما فقد تسرب اليها شعاع خافت ينبعث من غرفة الحمام المجاورة . وفى اللحظة التالية تبين أن هناك شخصا يتحرك بهدوء وتمهل فى الغرفة ، عندئذ تذكر كل شىء ، انها رفيقة ليلته وكاد ينطق لولا أن شيئا غامضا فى مسلكها آنذاك حبس الكلام فى حلقه . ذلك أنها كانت تتحرك بخطى وئيدة وكأنها تخشى أن توقظه . اقتربت من سريره أكثر من مرة لتتأكد من أنه فى سبات عميق ، ثم اتجهت بحذر وتردد نحو المقعد الذى كان قد وضع عليه ملابسه وانتظرت لحظة بدت وكأنها دهر من فرط القلق . بلغ السكون أقصاه حتى خيل الى « نيقولا » وهو يرقد فى الفراش وكأنه يسمع دقات قلبه ... تناولت معطفه بهدوء بالغ وبسرعة دست يدها الآثمة فى جيب معطفه الداخلى فأخرجت أوراق النقد التى ربحها من وقت قصير وكان مزهوا بها ، ثم أعادت المعطف الى مكانه ووضعت فوقه بعض الملابس الاخرى لتخفى معالم جريمتها . أمسكت رزمة الأوراق المالية ووقفت لحظة مشدوهة زائغة البصر لاتبدى حراكا . صعد الدم فى رأس « نيقولا » وهو يراقب هذه الاحداث المثيرة المتعاقبة وكاد يقفز من سريره فيقبض على الخائنة

لولا فكرة طارئة لمحت فى خياله فانزلت على نفسه الهدوء والسكينة · لقد أدرك أنه فى فندق اجنبى ببلد أجنبى كذلك ، ولا يدرى ما يخبئه له القدر ان هو أحدث ضجة أو أثار مشاغبة · ظلت تشخص اليه وهو يرقد فى سريره ساكنا مغمض العينين فخالته مسترسلا فى نوم عميق· وزاد من يقينها ان تنفسه كان هادئا منتظما · سكنت نفسها بعض الشىء وتقدمت خطوات وئيدة متحفظة نحو منضدة تواجه نافذة مقابلة للسرير ، وضع عليها اصيص به نبات للزينة

ـ ظل نيقولا يتابع حركاتها بدقة متناهية ، فلاحظ أن النبات لم يكن ثابتا فى الاصيص اذ أنها قد أمسكت ساقه بيدها ورفعته بسهولة ، وفى لمح البصر دست أوراق النقد فى قاعه وأعادت النبات الى مكانه الأول ·· يا له من مخبأ أمين بعيد عن الشبهات ··

وفى جوف الليل البهيم ووسط هذا السكون الشامل تسللت بحذر بالغ حتى اقتربت من السرير فالقت بنفسها عليه بسرعة وهدوء ثم همست بصوت متثائب :

ـ عزيزى ·· !!

لم تسمع لهمستها ردا · أخذت تقلب البصر فى صديقها فالفته ساكنا يغط فى نومه · ابتلعت ريقها وهدأ روعها رويدا رويدا · حقا ان نيقولا كان يبدو هادئا فى ظاهره ، ولو ان أفكاره فى الواقع كانت ثائرة مضطربة من هول ما شاهد من أحداث متلاحقة ·

أخذ يهجس فى نفسه بسخط حانق :

ـ هراء ونفاق كل ما قالته تلك الفاسقة ·· طفلها الصغير ·· زوجها الذى يعمل فى مراكش ·· رباه ·· انها ليست الا شيطانة فاسدة ولصة محترف لقد ظننت أننى طفل أبله ساذج ·· ولكنها سوف ترى أنها قد أخطأت الظن فعلا ·

ومما ضاعف من ثورته انه كان قد رسم خطة فى خياله ، بعد تفكير طويل ينفق بمقتضاها الأموال التى ربحها بمهارته ـ كما كان يزعم ـ فلطالما تاقت نفسه أن يمتلك سيارة خاصة ، وظن أنه حلم بعيد المنال ، لاسيما بعد أن فشلت محاولاته العديدة فى اقناع والده بأنه يهبه واحدة ··· أما وقد ربح مالا وفيرا ، فلا شك أنه قادر على أن يحصل على سيارة فاخرة ·

ـ ولو مستعملة من ماله الخاص ·· حقا ان هذا المال ليس فى حوزته الآن ، غير انه موقن بقدرته على استرجاعه ·· ولكن كيف له ذلك ؟ هذا ما لم يدركه تماما · لقد طارد فكرة اثارة شغب فى فندق يجهل أمره كل الجهل · ومن يدرى فربما كان لهذه المرأة الشريرة أعوان يقيمون فيه ، وعلى أهبة الاستعداد للتصدى له ومقاتلته اذا لزم الأمر ·

ثم خطر له أمر آخر هام ·· انه لا يملك أى دليل على أحقيته لهذا المال ·· فلو فرض وأقسمت هذه المرأة أمام الجميع انها المالكة الشرعية له ، فلا مناص حينذاك من القبض عليه كمذنب وتسليمه الى ادارة الشرطة ·

التهب رأسه من حدة ذلك الصراع الذى كان يتفاعل فى نفسه · وأفاق بعد لحظة من هواجسه على صوت تنفسها الهادىء المنتظم فادرك لساعته أنها تعيش مع أحلامها السعيدة قريرة العين ·· ولم لا ! وقد اطمأن بالها بعد أن نفذت خطتها باحكام ونجاح كبيرين ·

لقد ازداد سخطه عليها عندما رآها

تنام سعيدة مطمئنة بينما هو ·· صاحب الحق يتقلب على جمر من النار من فرط القلق · وفجأة خطرت له فكرة طريفة طارئة ، كاد لشدة اقتناعه بها أن يقفز من سريره لينفذها فى الحال ، لولا أنه تماسك بجلد وتحكم فى أعصابه كيلا يفلت الزمام من يده · ثم أخذ يستعرض هذه الفكرة ويتأمل فى عمق ·

كم هو يسير أن يلعب اثنان نفس اللعبة ، أو أن يقوم شخصان بنفس العمل ·· ان هذه المرأة الخائنة قد اختلست ماله ، وليس عليه الا أن يعمل نفس الشيء فيعيده اليه ، فيصبحان بذلك متساويين ·· مرت لحظة بدت على قصرها دهرا طويلا ·· ظل فيها يراقبها عن كثب فاذا بها ترقد ساكنة وقد غابت عن نفسها فى غفوة ملحة ·· وبعد تردد همس بصوت مسموع :

ـ حبيبتى ··

ولكنها كانت ترقد فى عالم بعيد غير الذى يعيش فيه ·

أخذ يزحف من الفراش بهدوء ، ثم يتوقف بين لحظة وأخرى ليمسك أنفاسه ويراقبها بدقة ، حتى استطاع آخر الامر أن يتسلل تماما من السرير ·· وقف برهة على الأرض ساكنا لا يتحرك ، يشخص اليها بعين مستطلعة ليتأكد من استرسالها فى النوم ، وفى نفس الوقت كان يتعرف على موضع أثاث الغرفة بدقة متناهية حتى لا يخطئه التقدير فيتخبط فى مقعد أو منضدة ، وتفسد الضجة بذلك خطته · تقدم خطوتين انتظر بعدهما لحظة ثم تلاهما بخطوتين أخيرتين كان يتنقل فى خفة الطير ولذا لم يسمع لوقع أقدامه صوت · مرت خمس دقائق استطاع بعدها أن يصل الى النافذة ولكن فى هذه الآونة سمع صريرا خافتا ينبعث من السرير · فجمد الدم فى عروقه وأطرق مشدوها ، ولكن سرعان ما أدرك السبب وهو أن المرأة كانت تتقلب فى فراشها وهى نائمة · ومع ذلك ظل ساكنا مدة ليست بالقصيرة حتى تأكد تماما أنها لاتزال نائمة · وبحذر بالغ أمسك بيده ساق النبات فرفعه برفق خارج الأصيص بينما دس يده الاخرى فى داخله ·· وما أن لمست أصابعه أوراق النقد القابعة فى قاعه ، حتى ارتعدت أوصاله وكاد قلبه أن يقفز الى حلقه ·· أطبق بيده عليها وأخرجها بسلام · وبسرعة أعاد النبات الى مكانه وضغط التراب بعناية حتى ساوى حافة الوعاء · وبعين يقظة ظل يرقب المرأة فى مخدعها فيراها ترقد ساكنة ،وعندئذ زحف بهدوء الى المقعد حيث توجد ملابسه · أسرع أولا بوضع النقود فى جيب معطفه الداخلى ، ثم شرع فى ارتداء ملابسه استغرق فيه نحو ربع ساعة تقريبا ذلك أنه حرص ألا يصدر عنه أدنى صوت ·

وعلى الرغم من اضطرابه الشديد ، كان يحس شعورا بالارتياح والغبطة يغمر كيانه · أتم وضع ثيابه بسلام ·· أما الحذاء فقد آثر ان يلبسه خارج الحجرة حتى لا يحدث صوتا اذا مشى · فالتقطه بيده وتسلل بخفة متناهية حتى وصل الى الباب · عالجه بعناية فوجده موصدا أدار المفتاح بحذر ولكنه مع ذلك انبعث منه صرير « مسموع » أفاقت المرأة على أثره من النوم وهبت مذعورة تجلس فى الفراش وهى تصيح فى هلع :

ـ من هناك ؟!

تسمر نيقولا فى مكانه وقد تجمدت عضلاته ولكنه مع ذلك حاول أن يتماسك وأجابها على الفور بهدوء مصطنع :

ـ أنا يا عزيزتى ·· ان الساعة الآن

السادسة ، وعلى أن أعود الى فندقى · كما تعلمين لأستعد للرحيل · لقـــد حاولت جهدى ألا أزعج نومك ··

قالت متناومة :

ـ آه لقد نسيت هـــذا الامر ·· ثم ارتمت فى الفراش من جديد ·

وتابع نيقولا الحديث :

ـ أما وقد استيقظت بالفعل ، فلا ضرر اذن من أن ألبس حذائى هنا ·

ثم جلس على حافـــة السرير ولبس الحذاء ، وعندئذ تثاءبت المرأة بتكاسل وقالت :

ـ أرجو ألا تحدث صوتا وأنت تغادر الفندق حتى لا تزعج أحدا ·· آخ انى أشعر بميل كبير للنوم ·

ـ اذن حاولى أن تواصلى نومك الآن ·

ـ ولكن قبلنى قبل أن تذهب ياعزيزى

ولما قبلهـــا وهم بالانصراف همست بصوت عطوف :

ـ يا لك من فتى لطيـف ، وحبيب نادر المثال ·· أتمنى لك سفرا موفقـــا سعيدا ·

انصرف نيقولا ولكن لم تعد الطمأنينة الى نفسه الثائرة الا بعد أن غادر الفندق تماما ووجد نفســه فى الطريق · كان الفجـــر آنذاك قد انبثق فالبس الكون حلة باهرة · وقف يتطلع الى الســماء الصافية ، ويستقبل نسيم الفجر العليل يملأ به صـــدره ، ليستمد منه القوة والنشاط · وعلى مد البصر ألفى قوارب الصيد وسفن النزهة تنتشر فى صمت فوق صفحة النهر الســـاكن · واصل المســـير بخطوات مترنحة فوق الهضبة وبين حوائق الرياحين ·

كانت الأزهـــار الجميلة تطل مشرقة فوق أغصانها ، وقطرات الندى الشفافة تترقرق على أوراقها فتزيدها رونقـــا وبهاء ـ حقا لقـــد كانت الطبيعة تلبس أجمل حليهـــا فتأخذ بشغاف القلوب ـ وهكذا ظل هائما فى تلك الجنـــة الحالمة حتى وصل الى فندقه وكان الوقت أول الصباح ·

كان أول ما رأى ، السعاة ، فى زيهم التقليـــدى وهـــم منهمكون فى تنظيف الشرفة الواسعة ·

صعد الى غرفته وأسرع يخلع ملابسه ثم غطس فى حمام ســـاخن · أخـــذ يستعرض الاحداث القريبة المثيرة فغمرته موجة من السعادة والرضا ، ذلك أنه لم يكن غبيا كما اعتقد بعض الناس ··· ثم قام ببعض التمرينات الرياضـــية وارتدى ملابسه · وبعد أن حزم أمتعته نزل لتناول طعام الافطار الذى تكون من ألوان شهية من الطعام كالحساء والبيض وأقراص من لحم الخنزير وشرائح السمك المشوى وقليل من المربى ، وثلاث أقداح من القهوة ، التهمها جميعا التهاما ، ثم أشعل الغليـــون · الذى تعلم تدخينه حديثا · وبعد أن دفع الحســـاب هرول خارج الفندق فقفز فى السيارة التى كانت تنتظره هناك لتقله وباقى المســـافرين الى المطار · سلكت السيارة طريقا مرتفعا حتى مدينة « نيس » ، يمتد البحر من تحته فى روعة وجلال · ثم انطلقت بعد ذلك فى طريق طويل ممهد فى مستوى سطح البحر ·

كان جميع المسافرين يشعرون بسعادة غامرة · وقد ألفت صداقة الطريق بين قلوبهم ·

استسلم « نيقـــولا » لمـد الحوادث يغمره ، وتعاقبت أمامه ذكريات الاحداث الأخيرة ·· وبعملية حسابية بسيطة أخذ يعد نقوده فى مخيلته · لقد دفع الحساب من النقود التى أخذها من والده وليس

من نقوده الخاصة التى ربحها فى الليلة الماضية . وفى نادى « نيكر بروكر » أنفق حوالى ألف فرنك ثمنا للعشاء والشراب . أما الألف فرنك التى اقترضتها منه صديقته الخائنة ، فقد ردت اليه كاملة . اذن لا بد وأنه يحتفظ فى جيبه الآن بمبلغ عشرين ألف فرنك . تاقت نفسه أن يلقى عليه نظرة ليطمئن قلبه، ولم لا وقد تضاعفت قيمته بعد أن كان يفقده فى تلك الليلة الغبراء . وبيد ملهوفة أخرج رزمة الاوراق المالية من جيبه وأخذ يعد محتوياتها بدقة متناهية فاكتشف لدهشته البالغة ان المبلغ عبارة عن ست وعشرين ورقة مالية ذات الالف فرنك وكان يجب أن يكون عشرين ورقة فقط ـ استولت عليه الحيرة واختلط عليه الأمر فأخذ يفكر .. ربما أخطأ العد ، اذن فليعده من جديد مئنى وثلاث بتريث وهدوء .. ولكنه تأكد أخيرا أنه لم يكن مخطئا فى المرة الأولى .

اذن كيف أصبح مبلغ العشرين ألف فرنك ، ستا وعشرين ألفا ومن أين له هذه الزيادة ؟ أيكون هذا هو حقيقة المبلغ الذى ربحه فى نادى الجزيرة بالأمس ، ولم يدر آنذاك ، لفرط اضطرابه ... ولكن لا يمكن أن يكون ذلك أبدا ، فهو يتذكر تماما وبوضوح بين أن الصراف وضع أمامه أوراق النقد فى صفوف أربعة ، فى كل صف خمس من الاوراق المالية ذات الالف فرنك .. ثم انه يتذكر تماما كيف أعاد عدها عدة مرات ليتأكد أنه لم يخطىء .... وفجأة أدركته فكرة فسرت له ما غمض من الأمر . ذلك أنه عندما رفع النبات من الأصيص ودس يده فى قاعه ،انتزع كل ما كان موجودا بداخله ، أى انه استولى على ماله بالاضافة الى مدخرات تلك المرأة الفاسدة .. ولا غرابة فى ذلك فلا شك أنها اتخذت من الاصيص صندوقا تدخر فيه أموالها الخاصة .

اعتدل نيقولا فى جلسته وانفجر ضاحكا .. يا لها من حادثة مثيرة حقا . واسترسل فى ضحكه عندما تخيلها وقد استيقظت فى الصباح فأسرعت الى الاصيص ترفع النبات لتمتع ناظريها بمشاهدة المال الذى استولت عليه بمهارتها ، ولكن تصفعها الصدمة عندما تبين انها قد فقدته بل وفقدت معه كل ما ادخرته من مال . وفجأة كف عن الضحك وأطرق يفكر فى وجوم .. انه لا يعرف اسمها ، كما لا يعرف اسم الفندق الذى تقيم فيه .. وبذلك فلن يتمكن من رد مالها اليها ان هو رغب فى ذلك ، ثم أخذ يتمتم :

ـ لقد نالت جزاءها على أى حال !

كانت هذه القصة التى سرد هنرى جارنيت حوادثها على أصدقائه وهم جلوس حول مائدة البريدج ، تماما كما سمعها من ولده فى الليلة السابقة بعد أن عاد من « مونت كارلو » . وما ان وصل الى نهايتها حتى قال معلقا والغضب يتطاير من عينيه :

ـ ان ما يزعجنى حقا ، هو أن أرى ابنى وقد تغيرت أخلاقه فتملكه الزهو الزائف واستولى عليه الغرور القاتل وتشبث بمبادىء هدامة . أتدرون يا أصدقائى ماذا حدث بعد أن حكى لى قصته ؟ لقد نظر الى بعينين تشع منهما السذاجة وقال :

ـ لقد فكرت كثيرا يا أبت فى نصائحك التى أسديتها الى ليلة رحيلى الى « مونت كارلو » ، وحاولت جهدى أن أقنع نفسى بصحتها وصدق فحواها كما عودتنى دائما ، ولكنى عجزت عن ادراك ذلك

بعد أن حدث ما حدث كما رأيت · من واقع قصتى · هل تذكر وصاياك تلك يا أبى ؟ لقـــد قلت لى : لا تقامر ·· وقامرت وحققت ربحا كبـيرا ·· ثم نصحتنى : لاتقرض مالا لأحد ، وأقرضت المال ، كما رأيت ، ولكن رد الى كاملا غير منقوص · وأخيرا أوصيتنى : لاتقرب النساء ، وخالفت غير عامد فقربتهن ، وظفرت بستة آلاف فرنك !!

وما أن أتم هنرى جارنيت حديثه حتى انفجر رفاقه ضـــاحكين · فنظر اليهم عاتبا وقال :

ـ لا شك أنكم تسخرون منى ، ذلك ان الأمر لا يعنيكم فى كثير أو قليل ، ولكنى أؤكد لكم انى أصبحت فى مركز حرج مهين · لقد كان الفتى من قبـــل ينظر الى بعين الاجلال والاكبار ، يتخذنى مثله الاعلى دائما ، ويثق فى كل ما ألقيه عليه ، يتبع نصائحى ولا يحيد عنها · أما الآن ·· وأسفاه ·· ! فهو يرانى بعين غير التى اعتاد أن يرانى بهـــا ·· نعم انه ينظر الى فى شك ، تماما كما ينظر الى عجوز أخرف ·· لقد حاولت اقناعه بشتى الطرق ، بأن ما حققه من كسب مادى ليس مرده الكفاءة أو القدرة كما توهم ، وانما هو مجرد صدفة وحظ سعيد حالفه فى تلك المدة القصيرة ولكن مع الأسف فان الغـــلام يصر على رأيه الخاطىء وعقيدته الواهية · ولا شك أنه لا محالة هالك ·

وبعد برهـة عقب أحـــد رفاقه على حديثه قائلا :

ـ ماذا دهاك أيها العجوز الأحمق · ليس منا من ينكر وجود الحظ ، وسعداء الحظ فى هـــذا العالم ، الذين يحققون نجاحا ملحوظا دون كبير جهد أو عناء

أجابه هنرى على الفور :

ـ لم يغب ذلك عنى يا صـــديقى ، ولكنى أومن بالعمل والاجتهاد والمثابرة قبل كل شىء ولا أعترف بالغرور الذى يؤدى بصاحبه · رباه ·· ليس من العدل أن يلعب القدر لعبة خيرة كتلك ، على مثل هذا الفتى اليافع ·

ثم عاد يسألهم فى توسل :

ـ ولكن بحق الســـماء ألستم معى أيها الاصدقاء أن نصـــيحتى اليه كانت بحق صادقة أمينة ؟

ـ بلا شك ـ لقد صدقت فيما أوصيت به ·

وواصل هنرى حديثه :

ـ وكان حريا بذلك الفتى القدير أن تحرق أصابعه ، طالمـا خالف النصيحة ولمس النار بيديه حتى يتعظ ويثوب الى رشده ؟ ولكن ما يؤلمنى انه لم يحدث له شىء من هذا ثم صمت برهة وتابع الكلام بصوت فيه رنة الحزن :

ـ لقد أدركتنى الحيرة وأعجزتنى الحيلة لذا أستحلفكم أن تشيروا على بســـديد الرأى حتى أنجو من هذا الموقف الحرج ·· فقد تعلمتم جميعا من الحياة دروســا لم يدركها الكثيرون ·

نظر اليه الجميع واجمين وقال أحدهم وكان محاميا :

ـ خفف عن نفسك يا صديقى · ثق اننى لو كنت مكانك لما أزعجنى هـــذا الأمر أو أثار مشـــاعرى · ان فتـاك يا عزيزى ، انسان سعيد الحظ هـذا فى اعتقادى ـ وقد أثبتت تجارب الحيـــاة المتباينة أنه من الأفضل أن يولد المرء والحظ معا فذلك خير من أن يولد ثريا أو أن يولد ذكيا ·